شعر عصر العودة

إعداد الدكتور : أحمد عبدالعزيز بقوش
أستاذ اللغة الفارسية المساعد بكلية دار العلوم – جامعة الفيوم

انتهى العصر الذهبي للشعر الفارسي الكلاسيكي – الذي كان قد بدأ بالرودكي– برحيل "نور الدين عبدالرحمن الجامي" سنة ٨٩٨ هـ .

فقد راج في عصري المغول والتيموريين نوع من الأدب الذي امتلأ بالمعاني المعقدة ، والعبارات المتكلفة ، والتي اتسع انتشارها في عهد الصفويين من بعدهم ، وامتدّت حتى شملت شعراء الهند. وكان يطلق علي هذا النوع من الأدب الأسلوب الهندى .

وقد اهتم الصفويون بنشر المذهب الشيعي ، ولم يكترثوا بفنون المدح والغزل، وكان جل همهم مدح أولياء الدين ، وذكر كرامات الأئمة الأطهار، وما حل بشهداء كربلاء من كوارث .

وظل حكم الصفويين في إيران قرابة مائة وأربعين عاماً ، حتى هجم الأفغان على إيران ، واحتلوا أصفهان واتخذوها عاصمة لهم .

وفي تلك الأثناء ظهر "نادرشاه الأفشاري" ، فطرد الأفغان ، وأزال سلطان الصفويين ، وجلس على العرش سنة ١١٤٨ هـ ، وأسس سلطان الأفشاريين .

ولكن سرعان ماانتهى الأفشاريون بدورهم إذ غلبهم "كريم خان الزندي"، وفي تلك المدة ظهر القاجاريون ، وأخذوا يناوئون الزندين ، وانتهى الأمر بأن هزم الزنديون بعد بضع سنوات من تغلبهم .

ولقد امتد استيلاء الأفغان وحكم الأفشاريين ، وسلطان الزنديين، قرابة نصف قرن .

وفي بداية عصر الدولة الأفشارية لم يكن حكامها يهتمون كثيراً بالشعر ، وذلك لإنشغالهم بالحروب ، غير أنه في أواخر الدولة الأفشارية في النصف الثاني من القرن

الثاني عشر الميلادي، بدأ حكامها يهتمون بالشعر أكثر وكان "كريم خان" من أكثرهم اهتماماً بالأدب عموماً الأمر الذي ساعد على ظهور ما يسمى بشعر عصر العودة الأدبية ، ثم انتشر أكثر في عهد "فتحعلي شاه القاجاري" وما بعده.

والمقصود "بشعر عصر العودة" – الذي اخترته عنواناً لهذا البحث – هو محاولة شعراء هذه الفترة تقليد كبار الشعراء من المتقدمين وا ٍحياء طريقتهم في العبارات والمعاني، أمثال : الفردوسي ، العنصري، الفرخي، منوچهري ، الخاقاني والأنوري .

وهذا يعنى أن شعراء هذه الفترة أدركوا أن الشعر قد أخذ في الانحدار بصورة مزرية ، ولابد لهم من قدوة طيبة تعيد إلى الشعر سابق مجده ، فلم يجدوا – حسب رأيهم– أفضل من العودة إلى شعر العظماء من السابقين .

وكان من أهم أسباب ظهور شعر العودة نفور عدد كبير من الشعراء من السبك الهندي، وتوجههم إلى طريقة السابقين التي تعتمد على الإتقان واستقامة المضمون.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة ، على النحو التالي :

المقدمة : وتتناول الحديث عن ظهور "شعر عصر العودة" ، وكيف ظهر في النصف الثاني من القرن الثاني عشر من الهجرة ، في أواخر عهد الدولة الأفشارية وكيف ازداد في عهد "كريم خان" ثم انتشر في عهد "فتحعلي شاه القاجاري" ، وما بعده .

المحور الأول : العوامل التي أدت إلى ظهور شعر "عصر العودة" ، وأشهر شعرائه، وتناولت الحديث عن نهب مكتبة أصفهان ، وانتشار كتبها بين الناس ، وا ٍحياء سلاطين الدولة القاجارية رسوم الإيرانيين بجمع حشد كبير من الشعراء في بلاطهم ، وتكوين جمعيات أدبية من بينها ماكانت موجودة في أصفهان وشيراز وخراسان ، ويضم المحور الأول كذلك الحديث عن ثلاثة شعراء هم: صبا ، سحاب، و مجمر .

المحور الثاني : خصائص شعر "عصر العودة" ، وتنقسم هذه الخصائص إلى ثلاثة أركان:

- خصائص لغوية .
- خصائص فكرية .

- خصائص أدبية .

المحور الثالث : "شعر عصر العودة في الميزان " ، وتناولت فيه الجوانب الإيجابية والسلبية لشعر "عصر العودة" .

أ. ولقد حاولت في هذا البحث أن ألقي الضوء على شعر عصر العودة الأدبية ، بعد انحدار الشعر في عهد الدولة الصفوية . وانشغال حكام الدولة الأفشارية بالحروب وعدم اهتمامهم في بداية حكمهم بالشعر كثيراً ، غير أنه في أواخر الدولة الأفشارية – في النصف الثاني من القرن الثاني عشر – بدأ حكامها يهتمون بالشعر أكثر .

ب.ثم بينت أن من أهم أسباب ظهور شعر العودة نفور عدد كبير من الشعراء من السبك الهندي–الذى كان يغص بالمضامين المعقدة– وتوجههم إلى طريقة السابقين التي تعتمد على الإتقان واستقامة المضمون .

ج. وتعرضت للعوامل التي إلى ظهور شعر العودة ، وهي : نهب مكتبة أصفهان وانتشار الكتب بين الناس ، وتجمع الشعراء في بلاط القاجاريين ، وازدهار الجمعيات الأدبية .

د. واخترت بعض الشعراء الذين يمكن عدهم ضمن شعراء العودة ، من بينهم:"فتحعلي خان الكاشاني" المتخلص ب "صبا" ، و"سحاب" ، و"مجمر" ، واستشهدت بنماذج من أشعارهم ، مشيراً إلى أشعار السابقين التى حاولوا تقليدها ، أو الرد عليها .

ه. ثم تحدثت عن خصائص شعر عصر العودة ، وقسمتها إلى : خصائص لغوية، وخصائص فكرية ، وخصائص أدبية .

و.وأخيراً تعرضت لنقد شعر العودة، مبيناً ماله وما عليه ، وذلك تحت عنوان "شعر عصر العودة في الميزان" ، وخلصت إلى النتائج الآتية:

١–إن أساس عمل شعراء عصر العودة يقوم على التقليد سواء من ناحية اللفظ أو الأسلوب أو من ناحية المضمون والمحتوى ، فكان الشعراء

يجتهدون قدر استطاعتهم في الاقتراب من أشعار السابقين ، التي اتخذوها قدوة لهم ، ولهذا السبب فقد شعر هذه الفترة سبكه الخاص به.

٢-إن كثيراً من القصائد -لشعراء هذه الفترة-تم نظمها إما لتقليد الشعراء السابقين ، أو رداً على قصائدهم ، ومن ثم فقد تكررت أوزان هؤلاء الشعراء وقوافيهم في دواوين شعراء عصر العودة .

٣-إن شعراء هذه الفترة لم يكونوا متساوين في استعمال خصائص السبك الخراساني، فكلما ابتعدنا عن عهد "فتحعليشاه" واقتربنا من عهد "ناصر الدين شاه"، نرى شعراء عهد الأخير أكثر تدقيقاً في دواوين القدماء ، وتجلى في شعرهم سلامة استعمال اللغة .

ولا أدعي أنني أحطت بكل أطراف الحديث عن "شعر العودة" ، بل أزعم أنني فتحت الباب أمام غيري من الباحثين لتدارك ما أكون قد أغفلته في هذا المجال.

والله ولي التوفيق ،،،